# تنقيبات البعثة الاثرية الايطالية لجامعة روما

# في تل مرديخ

## الموسم الأول عام ١٩٦٤

للاستاذ باولو ماتييه

---

تعريب وتلخيص : عدنان الجندي

أتمت البعثة الأثرية الايطالية لجامعة روما بين ١٣ ايلول و ٢ تشرين الأول من عام ١٩٦٤ أول موسم لها من الأسبار التي أجرتها في تل مرديخ من محافظة ادلب .

وتتألف البعثة من السيــد باولو ماتييه رئيساً ومن الأساتذة : ماريا فلوراني سكارشا بينو والمهندس البيرتو دافيكو وماريو ليفراني وباولو مينكانتي وفرانسيسكو سافريو بيريكولي ريدولفيني ومن السيد صبحي الصواف ممثلا للمديرية العامة للآثار والمتاحف .

وكان للمساعدات التي قدمت لنـــا من قبل المديرية العامة للآثار والمتاحف ومن السلطات المدنية والعسكرية في محافظة ادلب الأثر الفعال في تسهيل مهمتنا وأعمالنا الأثرية ، ولا ننس فضل سيادة السفير الايطالي بدمشق في تشجيع البعثة على الاتيان والعمل في سوريا ومساندتها في جميع ظروفها التي سبقت البدء في التنقيب .

وكان الهدف من الموسم الأول اجراء سبر في تل مرديخ للتأكد من الصفة الطبوغرافية وبنفس الوقت معرفة المدة الزمنية التي سُكن فيها ثم لزيادة معلوماتنا عن مواقع أخرى في معرفة

الفترات الزمنية للعصور القديمة وللعصر الروماني - البيزنطي للمنطقة التي لم يكن لها حتى الآن أي حظ من التنقيبات .

ومعرفتنا بالنسبة للسطح قد تمت في المنطقة المجاورة لتل مرديخ الواقع تماماً بجوار قرية مسكونة حالياً تحمل نفس الاسم القديم ، ويقع التل على بعد ٧٠ كيلو متراً من حلب وعلى بعد ٣ كيلو متراً شرقي الطريق العام حلب - حماه ؛ وتمتد المنطقة المنقب بها حول تل مرديخ بحدود ٢٠ كيلو متراً . (١) .

وبفضل هذه المعارف الأثرية السطحية تم وضع أهم النقاط الطبوغرافية لأهم المواقع الأثرية التي سيتم إنجازها خلال المواسم المقبلة ؛ ويقصد من ذلك تهيئة سجل للتلول القديمة قبل العصر الكلاسيكي وإتمام الدراسة الأولية لمواقع الخرائب العائدة للعصر الروماني - البيزنطي التي عرفت ونقب بها من قبل بفضل بعض الرحالة الأثريين الذين جميعاً لم يصلوا الى منطقة تل مرديخ ولم يتناولوه بالذكر . ولاتمام هذا النقص في معرفة هذه المنطقة التي هي غنية بتلولها الأثرية فقد أخذت بعثة جامعة روما على عاتقها منذ تنقيباتها الأولى تحقيق ذلك .

وقد زارت البعثة التلول الآتية :

١ - تـل آفس : على بعد ٤ كيلو مترات شمالي قرية مراقب .
٢ - تل شيخ منصور : على بعد ٥ كيلو مترات تقريباً الى الشرق من مراقب .
٣ - تل طوكان : على بعد ١٤ كيلو متراً تقريباً غربي الخط الحديدي حلب - حماه .
٤ - تـل داديخ : على بعد ٥،٥ كيلو متراً غربي تل مرديخ وغربي طريق حلب - حماه .
٥ - تـل أبيض : على بعد ٤،٥ كيلو متراً تقريباً جنوب شرقي تل مرديخ .
٦ - تـل الأغر : على بعد ١٢ كيلو متراً تقريباً الى الجنوب الشرقي من تل مرديخ .
٧ - تـل خضره : على بعد ٧،٥ كيلو متراً جنوب شرقي شيخ ادريس .
٨ - تـل دَبَس : على بعد ٥،٥ كيلو متراً جنوبي قرية لوف .
٩ - تـل المهدي : بين قرية معصران وتل دَبَس .
١٠ - تـل كرسيان : على بعد ١،٥ كيلو متراً جنوبي قرية حزّان .

ويعتبر تل طوكان وتل آفس من أهم التلول الأثرية باعتبار أنها سبق أن أجري فيها

---

(١) من أجل المخططات والصور التوضيحية يراجع المقال الاجنبي في العدد نفسه من المجلة .

بعض التنقيبات السطحيه من قبل السيد « البرايت » ؛ وإن تل طو كان بصورة خاصة يتميز بسطحه الواسع وبذروته الواقعة في قسمه الجنوبي . وتدل الطبيعة التشكلية للتل على وجود سور خارجي كان يحمي المدينة وعلى وجود جدار آخر كان يحيط الأكروبول « الحي المرتفع » ؛ وهناك دلالات مميزة فوق بقايا السور الخارجي من الجهة الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية تشير الى وجود فتحات تتوافق بدون شك مع الأبواب القديمة للمدينة ؛ كما يشاهد في بعض الأماكن من التل بقايا كتل كبيرة قائمة تخص أبنية ما زالت محتفظة بشكلها ؛ ويشير الفخار المجموع من السطح الى الزمن الهلنستي والروماني - البيزنطي والاسلامي ، وكنا نجد دائماً على السطح بعض قطع التمائم الفخارية العائدة للألف الثانية وأجزاء عربات فخارية من نفس العصر .

أما تل آفس فشكله شبه دائري بقطر ٥٠٠ متر تقريباً مؤلف من سطح منخفض داخلي ، ويرتفع في جهته الشمالية الأكروبول « الحي المرتفع » ثم يأخذ بالانخفاض باتجاه الجنوب ، وتؤلف منحدراته الشمالية مع المنحدر المنخفض للمدينة سطحين واسعين متدرجين ؛ ويوجد إنخفاض يفصل المدينة الواطئة باتجاه غربي شرقي وربما كان تشكله بسبب وجود ممر يصل القرية الواقعة شرقي التل بالطريق العام حلب - حماه ؛ كما أنه يوجد منخفض في الجزء الشمالي من التل يدل على بقايا الباب القديم للمدينة ؛ وهناك بقايا أبنية ترتفع بمستوى الجزء الشرقي من الأكروبول ( الحي المرتفع ) بجوار قبور إسلامية . وان غالبية النماذج الفخارية الملتقطة من سطح التل تعود الى العصر الحديدي الأول والثاني ، كما التقط بعض النماذج الفخارية العائـدة لعصر البرونز القديم والأوسط ، وبعضها من العصر البيزنطي والاسلامي .

ومن بين التلول المغطى سطحها ببعض بقايا الأبنية تل شيخ منصور وتل داديخ وتل أبيض وتل الأغر وتل المهدي وتل كرسيان وقد جمع منها نماذج فخارية من عصر البرونز القديم والأوسط بينما لم نجد على سطح تل خضره سوى فخار العصر الروماني والبيزنطي أما بالنسبة لتل شيخ منصور وتل داديخ وتل الأغر وتل كرسيان فقد وجد عليها أيضاً نماذج فخارية من العصر الروماني والبيزنطي .

وقد وجد الفخار الاسلامي بكميات كبيرة وبعض من النماذج الزجاجية في تل داديخ ، كما اكتشف في القسم الغربي من ذروته بقايا أبنية هامة من العصر الاسلامي .

وبذلك تكون المنطقة المجاورة والمحيطة بتل مرديخ قد عرفت توضعات من السكن تعود الى العصر البرونزي القديم والأوسط أي بين فترة زمنية تتراوح بين ٢٣٠٠ – ١٨٠٠ ق.م ، ولم نعثر في هذه المنطقة على أي أثر يؤرخ العصر البرونزي الحديث حتى بدء العصر الحديدي وبذلك يكون قد حصل هجرٌ هذه المنطقة من السكان في نهاية عصر البرونز الوسيط الأول أو خلال فترة البرونز الوسيط الثاني . ولم نعثر على أي أثر هام للسكن يعود للعصر البرونزي الحديث حتى عصر الحديد . ولكن بعض الأماكن مثل تل آفس ، الذي يمكن أن يكون قد سكن بدون انقطاع رغم هجر السكان المنطقة ، قد استعادت نشاطها على نطاق واسع بعد هذا العصر . وخلال العصر الهلنستي عرفت هـــذه المنطقة ازدهاراً داومت عليه خلال العصر الروماني – البيزنطي .

ويمكن التأكد من حصول أزمة في بدء الالف الثانية في التوضعات السكنية المستقرة لمنطقة تل مرديخ ، كما سنرى ذلك فيما بعـــد في موقع تل مرديخ ذاته ؛ وهذه الأزمة ليست حادثة محلية صرفة فقد بدت في عدة أماكن مثل مدينة حماه ، كما وأنها عرفت في شرقي فلسطين في حفريات السيد « كليك » ولنفس الفترة الزمنية .

وفي مثل هذه الحالة لمعلوماتنا الحاضرة والتي من المؤكد أن الحفريات الجارية في تل مرديخ ستحمل لنا معلومات حاسمة ؛ يكون من السهل تلخيص الاسباب الأساسية لهجر هذه المناطق المتجاورة من سورية وفلسطين ؛ إذ يمكن أن يكون هـــذا الهجر عائداً لاسباب طبيعية كالجفاف أو الحروب ؛ فطبقة الرماد السميكة التي تغطي سطوح جدران تل مرديخ وآثار الحريق الظاهرة على الآجر الذي يشكل القسم المركزي يجعلنا نميل الى الفرضية الثانية فرضية الحروب .

والمشكلة الرئيسية القائمـــة حول هجرٌ السكان للمنطقة هي المشكلة المتعلقة بالصلات التي كانت تربط الآموريين بهذه المنشآت السكنية الواقعة في سورية الداخلية وهذا في الواقع يتعلق بمعرفة فيما إذا كان هؤلاء الآموريون النصف حضر الذين أحسّ بوجودهم واندفاعهم في سورية وفيما بين النهرين هم المسببون لسقوط الثقافة المستقرة على الحـــدود الغربية للصحراء السورية أو فيما إذا كانوا هم نفس القبائل الآمورية الذين تحضروا خلال فترة طويلة في سورية ثم توجهوا بالتالي نحو ما بين النهرين أثر ضغط بدوي ثانٍ ؟

إن هجر المناطق المسكونة في تل مرديخ وتل طوكان وترك المراكز الزراعية الى أماكن أقل أهمية استدعى الرجوع الى حياة نصف حضرية في المنطقة ؛ ومهما يكن فإن قلة المراكز الحضرية ربما استمر حتى نهاية عصر البرونز العصر الذي أصبحت فيه المنطقة جزءً متمماً لدولة بلاد نحاسو ؛ ولم تتبدل هذه الأمور بصورة جذرية الا في الزمن الآرامي عندما أصبح تل آفس مركزاً هاماً ، ومن الجائز أنه كان يعرف باسم « خزرك » في نصب زاكير المشهور وحيث ذكر في التوراة باسم « خدرك » وفي النصوص الآشورية « خاتاريكا » . وهناك شواهد اثباتية بهذا الخصوص جمعت من قبل رئيس البعثة السيد ماتييه من جوار قرية آفس القديمة ، إذ أمكن ملاحظة أن في الطبقة العائدة للعصر الروماني البيزنطي مساحات واسعة مغطاة بخرائب ، خاصة خربة « دالم » و « مغريان » و « غطفه » و « صيرون » و « حيزر » و « معراتا » ، . كما وجد في عدة أماكن مثل « هنجير » و « معصران » و « كفر بطيخ » كهوف واسعة محفورة بالصخر كانت تستخدم كمخازن حبوب ؛ وإن بعض هذه المناطق مثل مناطق « كفر بطيخ » و « تل خضره » و « تل كرسيان » و « تل دبس » و « تل المهدي » و « قصر دالم » تمثل بقايا أبنية من الجائز أنها كانت تخص تحصينات عسكرية ، يمتد قسم منها حول الطريق القديم كالسيس « تل منس » – أفاميا وقسم آخر منها يمتد حول طريق تل منس – آرا « معرة النعمان » كخط ثانٍ أو ثالث من الدفاع في الغرب من حدود « تل منس » .

وقد اهتمت البعثة في هذه المنطقة بجمع العديد من البراهين عن وجود المسيحية خاصة جمع القطع الهندسية التي تحمل رموزاً مسيحية ؛ وفي أسفل تل مرديخ أمكن التثبت من وجود مكان معروف ومذكور في الوثائق العائدة للمسيحيين ذات الطبيعة الواحدة وكان يعتبر مركزاً مسيحياً لدير قديم ؛ ويلاحظ في أماكن عديدة من المنطقة بعض القطع المنحوتة مصور عليها الصلبان مرسومة ضمن دائرة ؛ وإن ضخامة الخرائب الباقية في هذه المناطق تسمح لنا بالقول بوجود مراكز أديرة هامة .

الأسبار : يقع تل مرديخ كما قلنا على بعد ٧٠ كيلو متراً جنوبي مدينة حلب وعلى بعد ثلاثة كيلو مترات شرقي الطريق العام حلب – حماه وهو يمثل مع ذروته والمدينة المنخفضة التشكل الطبيعي المميز للسكن الانساني أثناء فترة وجيزة . يتألف من ذروة اهليجية الشكل مكون من مجموعة من المرتفعات تضم شريطاً واسعاً من استدارات أرضية في وسطها يرتفع الأكروبول

« الحي المرتفع » الذي يميل بخفة نحو الجنوب ؛ يبلغ عرض التل ٩٠٠ متر في قطره الشمالي الجنوبي و ٧٠٠ متر في قطره الشرقي الغربي وأعلا ارتفاع له هو ١٣ متراً بالنسبة للسهول المجاورة ، ولا تكاد ترتفع المنطقة المحيطة بالمدينة المنخفضة الى ثلاثة أو أربعة أمتار عن نفس مستوى السهول . ويوجد أربعة انخفاضات واحدة منها صغيرة وجميعها منظورة وهي تدل على أماكن الأبواب القديمة للمدينة ، أما البروز الحـــاصل فهو ، كما أظهرته الحفريات ، يؤلف جداراً هاماً من سور المدينة من الآجر المشوي .

وبفضل الحفريات السرية المنتشرة في المنطقة فإن سطح التل خاصة في منحدرات السور البارزة أوضح لنا بعض الدلالات ، إذ ليس بالامكان رؤية المنشآت القديمة في أماكنها في أي جهة من التل . وإن نفس الأحجار الكبيرة الناتجة عن الأبنية المهدمة ليست كثيرة العـــدد . ويمكن ملاحظة أشرطه من أكوام التراب ذي اللون القاتم ناتجة عن وجود طبقة سميكة من الرماد وذلك في أماكن الحفريات السرية المتصف سطحهـــا بوجود التراب الممزوج بكميات الفخار الحمر اللون .

ويلاحظ مقابل القسم الجنوبي الشرقي لمرتفعات السور الشرقي الذي هو خارج المدينة القديمة وجود ارتفاع شمالي جنوبي ذي شكل متطاول يظهر أنه يغطي بقايا الجدار الثاني للسور المقام في هذه الجهة ليكون أكثر مقاومة ، مضاعفاً بذلك الوضع الدفاعي للجهة الشرقية ، وقد وجد في الحزام الأرضي المستدير الجنوبي الواقع بين بروزات السور والأكروبول بئر مهجور بعمق كبير ما زال يحوي على ماء قسمه الأعلى مبني بالحجارة ذات القياسات الكبيرة المنحوته .

وقد سمحت لنا المشاهدات السطحية لتل مرديخ كما هو الحال في غالبية التلول المزارة ، أن تؤكد وجود العصر البرونزي القديم الرابع والعصر البرونزي الوسيط الأول ، فالصفة المميزة لفخار العصر البرونزي القديم الرابع هو أنه من النوع الصافي الرقيق ذي اللون الأصفر ونادراً وجود اللون الوردي الشاحب ، وهذا الفخار ملحوظ ومحقق في النماذج الشكلية التالية : الزبادي المنتفخة قليلاً والكؤوس والأباريق وجميعها عليها تزيينات طلائية أفقية بلون أحمر غامق أو أسود ومحززة بخطوط حلزونية ؛ كما عثر على فخار مصنوع باليد مغشى بطبقة زجاجية ذات لون مخضر وعلى الكثير من النماذج الفخارية المصنوعة باليد ذات لون كستناوي ضارب إلى البنفسجي أو

الأخضر وهي بشكل صحون وقدور كلها تعود إلى نفس العصر المذكور . وإلى هذا العصر أيضاً تعود نماذج التمائم الفخارية الصغيرة .

أما العصر البرونزي الوسيط فيتصف فخاره باللون الأصفر البراق والوردي الصافي على شكل جرار نخرة متوسطة الحجم وكؤوس ذات قعر وأخرى عليها خطوط تقع تحت الشفة ، وبأواني ذات قياس متوسط بتزيينات محززة تحيط بها متوازية ومفصوله أحياناً بحز ثالث مموج ؛ ويلاحظ بأن هذه الأواني الفخارية النخرة مزينة أحياناً بجديلة مشغولة واقعة تحت الحزام الثاني المحزز ومزينة بخطوط عمودية وببصمات اصبعية ، وهذا النوع من الفخار وجد منتشراً على مرتفعات السور وعلى المرتفعات المحيطة بالمدينة الواطئة ، بينما وجد على الأكروبول نفس هذه النماذج من الكسر مختلطة مع نماذج أخرى أحدث منها ، تعود إلى العصر الهلنستي والروماني .

ان الهدف من اقامة السبر الأول المشار اليه بحرف ( آ ) هو تحقيق وجود جدار السور الذي يوحي به هذا المرتفع من الأرض وتأكيد معرفة النموذج العلمي لهذا البناء الدفاعي . فقد حفرنا سبراً في المنحدر الداخلي الجنوبي لهذا المرتفع من الأرض مبتدئين بالجزء المنخفض وبالاتجاه الشمالي الجنوبي ، وبفضل هذا السبر توصلنا إلى القمة ، كما فتحنا أسباراً عمودية على السبر السابق من الشرق إلى الغرب .

وفي أسفل السبر وعلى ارتفاع المستوى الثاني من الأرض وجدنا صفاً من البناء الحجري السميك يخص بالتأكيد أقدم أبنية التحصينات السكنية ؛ وعلى نفس هذا المستوى السطحي الممتد بطول ٤٥،٥ متراً تابعنا الحفر باتجاه قمة المرتفع ، وقد ظهر لنا وجود أحجار ضخمة يرتكز عليها أول نموذج للبناء الآجري المشوي ؛ وفوق هذه الركام الآجرية الأولى وجدت أكوام أخرى من الأحجار بوضع مشوش وعليها يرتكز البناء الكبير الضخم من الآجر الذي يؤلف أساس كتلة السور ؛ ويتميز لبن الآجر بلونين مختلفين الأحمر البني مع الأبيض الكريم الذي تشكل بسبب العناصر الكلسية والفضارية المتحدة معاً بطريقة ما من جراء الحرارة التي تعرض لها البناء مخلفة كمية كبيرة من الرماد . والمصاطب ( المستويات الأرضية ) التالية ، سواء الرابعة أو الخامسة منها كانت مدموجة فى المداميك العليا للجدار الآجري ، أما المستوى السادس والأخير الذي هو بارتفاع ٧،٣٥ مترا فقد كان متبوعاً ببقايا أثرية من الجزء العلوي من البناء الآجري الذي كان مغطى بطبقة من الحجر المتكسر المرصوف وقد وجد محفوظاً بصورة جيدة وعلى مسافة واسعة ؛ وان أقصى سمك للبناء الآجري هو ٢١ مترا ، انما يجب اعتبار هذا القياس شذوذاً لأنه أخذ بصورة خاصة في نقطة من

مرتفع السور متميكة كانت من المحتمل انها تستر جزءاً ملحوظ النتوء مُشاد من أجل الدفاع عن الباب الجنوبي . ويبلغ الارتفاع الأقصى لهذا البناء بالنسبة لخطط المدينة وهو ارتفاع سادس مستوى ( مصطبة ) ٧٫٣٥ متراً . وفوق القسم المرصوف بالحجارة وجد بناء من الحجر باتجاه شرقي غربي بمثل بسمك ٢ متر ومحفوظاً بطول ١٥ متر حيث واجهته الداخلية ممثلة بدماميك منتظمة بخلاف الواجهة الخارجية الجنوبية منه ، وهو يكوّن قسماً من التحصينات المتقدمة الشرقية من الباب الجنوبي .

وقد سمح لنا اتساع الأسبار الشرقية أن نميز هوية أبنية أخرى من الحجر والتي لم يكن بامكاننا تحديد نوعية عملها بالضبط في الحالة الراهنة من عملنا ، ولكن من المؤكد أنها ذات علاقة بالتحصينات المتقدمة البروز .

ولقد عثرنا في حفريات البناء الضخم الآجري وفي التحصينات الحجرية على كثير من أجزاء التمائم الفخارية الإنسانية والحيوانية العائدة لبدء الألف الثانية ق. م ، أما نوعية الفخار فهو عبارة عن أوان ذات لون أصفر أو زهري أو أحمر أو أسمر مخضر ، وبالنسبة للشكل فقد وجدت نماذج عديدة للجرار الكبيرة والكؤوس والصحون والقدور المألوفة والمعروفة ؛ وقد مثل على الجرار تزيينات بطريقة طبعات الخاتم ، وأما الأواني الباقيـــة فغالباً ما تكون مزينة بخطوط محزوزة أفقياً وفي وسطها حزوز مموجة ؛ وهناك كؤوس منخورة وأخرى من الطين الصافي بشفة واسعة عليها جدائل تزيينية ، والتمائم والأواني الفخارية التي وجدت في مجال جدار السور ذات صفات تماثل ما وجد في طبقة قلعة حماه المرموز اليها بحرفي ج و ه .

كما أجرينا سبرا ثانياً رمز اليه بحرف ( ب ) في المنحدرات الغربيـــة من الأكروبول وفق معلومات حصلنا عليها بفضل اجزاء حوض ذي فتحتين وجد في تل مرديخ منذ عدة سنين وهو محفوظ حالياً في متحف حلب ؛ فقد كان يلاحظ على سطح موضع السبر ثلاثة بروزات لثلاث قطع بازلتية متطاولة ؛ وتحت هذه الطبقة من الأرض وعلى عمق ٢٠ سنتمترا كشفنا عن بناء حجري ذي اتجاه شمالي جنوبي وبعرض متر تقريباً كما انه وجد بناءان آخران من الجائز انهما من عصر أحدث الأول مؤلف من قطع صغيرة من الأحجار الكلسية والثاني عبارة عن كومة من الحجارة الضخمة متجمعة حول كتلة ذات مساحة ملحوظة كانت تسد الفتحة المستديرة لبئر محفور في الصخر قياس فتحته ٣٫٦٠ م و ٢٫٨٠ م وكان مليئاً بالأنقاض الترابية وقد وجد في داخل هذا المكان تمثال رجل جالس من البازلت وشظايا من حوض بازلتي بشكل متوازي المستطيلات

يماثل الحوض الذي وجد سابقاً في تل مرديخ الموجود في متحف حلب . والنماذج الفخارية المجموعة من هذا السبر فقيرة تتماثل مع القطع المكتشفة في السبر رقم (آ) ؛ وقطع الحوض الحجري مهمة جداً لأنها تؤلف وثيقة هامة حول موضوع تقاليد فن النحت السوري في عهد سلالة أور الثالثة أو على الأرجح في بدء عصر «اسن ، وقد نحت على هذه القطع بعض المشاهد : منها مقدمة أسد يزأر وبعض النماذج التزيينية كرأس الرجل الثور الملتحي الذي من الجائز أنه كان يحمل سعف النخيل .

وتخطيط تزيينات الحوض التي وجدت أجزاؤها في السبر (ب) مشابهة تماماً لحوض حلب الذي يمكن على منواله اعادة ترميم هذه الأجزاء ؛ وقد صور على احدى واجهات أجزاء الحوض وهي الواجهة الرئيسية شخص ملتح يقوم بطقوس الاضحية : ومن غير الممكن اعادة انشاء موضوع النحت على الواجهات الأخرى . كما أنه من غير الممكن تحديد قياسات الحوض المكتشف في السبر (ب) بسبب حالتـــه المؤسفة من التجزئة والنقص ولكن من المؤكد أن قياساته أكبر من قياسات حوض متحف حلب ، وباعتبار وجود التشابهات الشكلية والصورية بينهما فلا يمكن والحالة هذه إلا أن نعتبرهما من عصر واحد ؛ ومن الجائز انهما كانا يؤلفان موضوعاً واحداً من الطقوس الدينية ولمعبد واحد .

وتمثل الواجهة الرئيسية من حوض متحف حلب مشهد وليمة دينية وفق مخطط وتفاصيل صورية معروفة في تقاليد فن الحفر السوري العائدة لنهاية الألف الثالثة وبداية الألف الثانية ق.م. ويوجد دلالات عديدة تجعلنا نفترض بأن مشهد الوليمة يمثل هنا وجبة طعام مقدس ( قربان ) بمناسبة تمجيد زراعي .

وقد أعطتنا أجزاء الحوض الكبير المجموعة من سبر جنوب غرب الأكروبول وأجزاء الحوض الصغير التابع لحوض حلب برهاناً قيما ونادرا لانتقال مبدأ فن التصوير الانساني لما بين النهرين العائد للعصر السومري الثاني ، وهو في نفس الوقت وثيقة حول موضوع الاقتباس وفق الأسلوب المحلي للأصول المتبعة فيما بين النهرين ، واكتشاف هذه القطع في تل مرديخ له مدلولان هامان ؛ فهي أولاً تسمح بادراك مـــدى القيمة العظيمة الراسخة لانتشار ثقافات ما بـين النهرين

خلال العصر السومري الجديد ( الثاني ) وثانياً ادراك القيمـــة العظيمة لأصول وتطور التقاليد الفنية السورية .

ويمكن تحديد عصر التمثال البازلتي الناقص الرأس بالزمن الذي يلي عصر الحوض ، وهو يقدم لنا برهاناً جديداً حول شكل الملابس السورية ذات الأهداب ؛ ويمكننـــا القول ذاته بالنسبة لقطعة أثرية أخرى هي عبارة عن جزء من نَصَبٍ تحفظ لنا صورة شخص بلباس ذي أطراف ( حواشي ) مرتفعه وهو نموذج من فن الحفر السوري القديم ، وعلى ذلك فإن عهد التمثال هو أول الألف الثانية . ( القرن التاسع عشر ق.م ) ، أما القطعة الثانية فمن عهد أحدث إنما لا تقل عن القرن الثامن عشر أو السابع عشر .

وقد أجرينا سبراً ثالثاً رمز إليه بحرف ( ث ) في الجهة الواقعة الى الغرب من السبر الذي ظهر فيه بئر المنحوتات السالفة الذكر ، وكان بقياس ٢٫٧٥ متراً باتجاه غربي شرقي ؛ وقد كشفنا فيه وجود بئر بشكل شبه منحرف محفور بالصخر وتتميز أنقاضه بانها خليط من التراب الرمادي المحمر ومن الحصا المتوسط الحجم . كما وجد على عمق ١٫٢ و ١٫٥ متراً طبقتان من الحصى المرصوفة بعناية ، وظهرت طبقة ثالثة من الحجر على عمق ١٫٨٥ متراً ؛ وفي هذه الطبقة وجدنا في الجدار الغربي من البئر فتحة محفورة في الصخر مسدود جزء منها بصفائح من حجر البازلت ، وفي الغرب من الجدار الشرقي للبئر عثرنا على بلاطة كبيرة من الحجر الكلسي وقد توقف العمل في الكشف عن البئر بسبب صعوبة طريقة الحفر ، وسوف نعاود العمل في موسم آخر من أجل معرفة طبيعة البئر . ومما أظهرناه من البئر يمكننا أن نعين بأن عهده هو العصر البرونزي القديم والوسيط ، فقد وجدنا قليلاً من القطع الفخارية وبعض القطع العظمية لحيوانات .

كما عملنا سبراً رابعاً على المنحـــدر الغربي الأكروبول رمز إليه بحرف ( د ) الغرض منه توضيح أصل السطوح المتدرجة المميزة للأقسام الجانبيه للأكروبول على طول محيطه خاصة في الجزء الغربي منه . وقد حفرنا خندقاً بعرض مترين أمكن بواسطته الوصول الى القمة سمح لنا بأن نشخص اعتباراً من الأسفل نحو الأعلى وجود بناء مبني من شظايا حجارة كلسية ضخمة يقوم مباشرة على التراب . وقد وجد جدار آخر على بعد ١٫٢ متراً من الجدار الأول بسمك ٠٫٥ متر كما أظهرت لنا الحفريات وجود بناء له صلة بالسطح الثاني تتألف واجهته من كتل

حجرية ذات قياسات كبيرة ومتوسطة بارتفاع ١٫٦ متر وراء هذا الجدار وعلى بعد ١٫٣ متراً يقوم جدار ثان أكثر عرضاً من الأول ؛ وفوق الجدار الأول وباتجاه القمة كشفنا عن جدار كبير بعرض ٣٫٥ متراً من الآجر يرتفع في وسطه أساسات بناء من الحجر بارتفاع ١٫٢٥ متراً مستور بطبقة من التراب بسمك ٥٠ سم وفوق التراب يقوم حائط أكثر حداثة من الجدار الذي تحته بسمك ٨٥ سم وارتفاع ٧٠ سم .

ولصغر الخندق المحفور فإنه يبدو من الصعب في مثل هذه الحالة الحاضرة من التنقيب أن نحدد بصورة جازمة مهمة عمل هذه الأوابد الحجرية ومهمة الجدار الآجري المشيد بالقرب من قمة الأكروبول فمن المحتمل أن هذا الجدار الآجري كان يخص سوراً أكثر قدماً من القلعة وبأن المنشآت الثلاث المكونة من شظايا الأحجار الكبيرة ومن الكتل الحجرية الكلسية تؤلف من وجهة النظر البنائية أساس نظام دفاعي معقد أحدث عهداً أو ربما يخص نفس العصر . وفي كل الأحوال فإن ما قلناه لا يتعلق سوى بفرضية ؛ رغم أن هـذه الفرضية تظهر بعيدة عن الواقع . وإن سبراً جديداً يجب أن يوضح النقاط المختلفة من منحدرات الأكروبول لمعرفة فيما إذا كانت الأساسات من الجدران المتوازية المكتشفة تؤلف جزءاً من جـدار السور . وأن السطوح التي تغطي المنشآت كانت بالتأكيد كثيرة التغير وهذا ما لاحظناه في قطاع واحـد من خلال التوضعات الطبقية الأثرية المشاهدة . وإن أجزاء التمائم الفخارية المشابهة الى تلك التي وجدت في السبر (آ) والعائدة للألف الثانية ق.م وما جمع من أجزاء الأواني الزجاجية ورأس تميمة فخارية لفارس من العهد الفارسي ، وبقايا أجزاء تمائم فخارية مشابهة لما ذكرناه سابقاً جميعها تعود الى بـدء الألف الثانية ق.م . وإن ما أعطاه لنا السبر المقام فوق منحدرات الأكروبول من آثار يؤكد لنا بالتالي الملاحظات الظاهرة خلال تشخيص اللقى الأثرية المجموعة من سطح التل والتي تحملنا على الاعتقاد بأن التل كان مهجوراً خلال النصف الأول من الألف الثانية وقد سكن من جديد ، ولكن في القسم المرتفع منه وذلك خلال العصر الهلنستي والروماني .

ويظهر من أول نظرة تفحصية أن تل مرديخ كان هاماً جداً ؛ فهو يقدم لنا برهاناً واضحاً لحضارة سورية الداخلية بين نهاية الألف الثانية ؛ والحضارة الممثلة هنا لم تكن معزولة إنما كانت على العكس محاطة بأفق جغرافي واسع يتصف بازدحام المراكز الحضرية المسكونة ؛ ويكفي أن

نرى تمركز الأوابد في مسافة العشر كيلو مترات الواقعة بين تل مرديخ وتل طوكان ، لنشاهد الكثير من صفات الأعمال الفنية وأهمية تأثيرات ما بين النهرين وعظمة النماذج الدفاعية الحضرية . ورغم المؤثرات القوية لبلاد ما بين النهرين والتي يشعر بها في المظاهر الفنية يبقى موضوع مشكلة معرفة فيما إذا كان يجب أن نربط النهضة الثقافية الحضرية لهذه المنطقة الداخلية من سورية بالتأثير الحضاري لبلاد ما بين النهرين للعصر الأكادي والسومري الحديث ؛ ونجاح موسمنا الأول يحملنا على الاعتقاد بأن النشاطات المقبلة لبعثة تل مرديخ باستطاعاتها تزويدنا ببعض الأمور الإيضاحية بخصوص موضوع هذه المشكلة التاريخية الجوهرية .

عدنان الجندي